

وأعلم أن القبط بمصر نظير النبط بالعراق ومنف نظيرة بابل والروم والاقاصير  
بمصر نظير الفرس والاكسرة بالعراق والاسكندرية نظير المدائن ، والفسطاط  
نظير بغداد . والجميع اليوم بعد الاسلام وتشمله دعوة بني العباس

### الفصل الخامس

## فيما شاهدها من غرائب الابدنية والسفن

وأما أبنيهم ففيها هندسة بارعة وترتيب في الغاية ، حتى أنهم قلما يتركون مكانا  
غفلا خاليا عن مصلحة ودورهم أقبح وغالب سكنهم في الاعلى ويحملون منافذ  
منازلهم تلقاء الشمال والرياح الطيبة ، وقلما تجد منزلا إلا وتجد فيه باذاهيج  
وباذاهيجاتهم كبار واسطة للريح عليها تسلط ويحكمونها غاية الاحكام حتى أنه يقوم  
على عمارة الواحد منها مائة دينار الى خمس مائة وان كانت باذاهيجات المنازل الصغار  
يغرم على الواحد منها دينار وأسواقهم وشوارعهم واسعة وابنتهم شاهقة وينون  
بالحجر النحيت والطوب الأحمر وهو الآجر وشكل طوبهم على نصف طوب العراق  
ويحكمون قنوات المراحيض حتى أنه تخرب الدار والقناة قائمة ، ويحفرون  
الكنف الى المعين فتغبر عليها برهة من الدهر طويلة ولا يفتقر الى كسح وإذا  
أرادوا بناء ربيع أو دار ملكية أو قيسارية استحضر المهندس وفوض اليه العمل  
فيعمد الى العرصه وهي تل تراب أو نحوه فيقسمها في ذهنه ويرتبها بحسب ما يقترح  
عليه ثم يعمد الى جزء جزء من تلك العرصه فيعمره ويكمله بحيث ينتفع به على  
انفراده ويسكن ثم يعمد الى جزء آخر ولا يزال كذلك حتى تكمل الجملة بكامل  
الاجزاء من غير خلل ولا استدراك

وأما المسناة فيسمونها الرزينة ولهم في بنائها اتقان حسن ، وصفته أن يحفر  
الاساس حتى تظهر الندادة وثير الماء فينثذ يوضع ملبن من خشب الجيز أو نحوه  
على تلك الارض الندية بعد ما تمهد ، ويكون عرضه نحو ثلثي ذراع وقطر حلقته  
نحو ذراعين مثل الذي يعمل في قعر الآبار ثم يبنى عليه بالطوب والجير نحو قائمتين  
فيصير بمنزلة التنور . فيأتي الغواصون وينزلون هذه البير ويحفرونها وكلما نبع الماء

نزحوه من الطين والرمل ، ويحفرون أيضا تحت ذلك الملبس فكما تخلخل ما تحته  
وثقل بما عليه من البناء نزل وكلما نزل غاصوا عليه وحفروا تحته والبناء في أثناء  
ذلك يبنى عليه ويرفعه ، ولا يزال البناء يرفع الفاعل تحته يحفر وهو بثقله بغوص  
حتى يستقر على أرض جلدة ويصل الى الحد الذي يعرفونه ، فيئخذ ينتقلون الى عمل  
آخر مثله على ستمته وعلى بعد أربع أذرع منه أو نحوها ولا يزالون يفعلون  
ذلك في جميع طول الاساس المفروض ثم يبنون الاساس بالمادة بعد ردم هذه  
الآبار فترجع أو تادأ راسية للبناء وعمد تدعيمه وتوثقه

وأما حماماتهم فلم أشاهد في البلاد أتقن منها وصفاً ولا أتم حكمة ولا أحسن  
منظراً وخبراً . أما أولاً فإن أحواضها يسم الواحد منها ما بين راويتين الى أربع  
روايا وأكثر من ذلك يصب فيه ميزابان ثجاجان حار وبارد وقبل ذلك يصبان  
في حوض صغير جداً مرتفع ، فاذا اختلطا فيه جرى منه الى الحوض الكبير وهذا  
الحوض نحو ربعة فوق الارض وسائرة في عمقها ينزل اليه المستحم فيستنقع فيه .  
وداخل الحمام مقاصير بابواب ، وفي المسلح ايضاً مقاصير لأرباب التخصص حتى  
لا يختلطوا بالعوام ولا يظهروا على عوراتهم وهذا المسلح بمقاصير حسن القسمة  
مليح البنية وفي وسطه بركة مرخمة وعليها أعمدة وقبة ، وجميع ذلك مزوق السقوف  
مفوف الجدران مبيضا مرخم الأرض بأصناف الرخام مجزع باختلاف ألوانه ،  
وترخيم الداخل يكون أبداً أحسن من ترخيم الخارج وهو مع ذلك كثير الضياء  
مرتفع الازاج ، جاماته مختلفة الألوان ضافية الاصباغ بحيث اذا دخله الانسان  
لم يؤثر الخروج منه لأنه إذا بالغ بعض الرؤساء أن يتخذ دارا للجلوسه وتناهى في  
ذلك لم تكن أحسن منه

وفي موقده حكمة عجيبة ، وذلك أن يتخذ بيت النار وعليه قبة مفتوحة بحيث  
يصل اليها لسان النار ويهصف على افاريزها أربع قدور رصاص كقدور الطراس  
أكبرها أكبر منها ، وتتصل هذه القدور قرب اعاليها بمجار من أنابيب فيدخل الماء  
من مجرى البير الى فسقية عظيمة ، ثم منها الى القدر الاولى فيكون فيها بارداً على  
حاله ثم يجرى منها الى الثانية فيسخن قليلا ، ثم الى الثالثة فيسخن أكثر من ذلك  
ثم الى الرابعة فيتناهى حره ، ثم يخرج من الرابعة الى مجازى الحمام فلا يزال الماء

جاريا وحاراً يابس كلفة وأهون سعي واقتصر زمان وهذا العمل حاكوا به فعل الطبيعة في بطون الخيران وطبخها الغذاء فان الغذاء يتنقل في الامعاء وآلات الغذاء التي هي لسلك حيوان وكلها صار الغذاء الى مصير حصل على صنف من المضم ومقدار من النضج حتى يصل الى المعاء الاخير وقد تنهى

واعلم ان هذه القدور كل حين تحتاج الى تجديد ما ينقصها فتوجد القدر الاولى التي هي وعاء البارد قد نقصت اكثر من نقصان القدر التي هي وعاء الحار بمقدارين ولذلك علة طبيعية ليس هذا موضعها

ويفرشون أرض الاتون التي هي مقر النار بنحو خمسين اردبا ملحاً وهكذا يفعلون بأرض الافران لأن المالح من طبيعة حفظ الحرارة . واما سفنهم فكثيرة الاصناف والاشكال واغرب ما رايت فيها مركب يسمونه العشري شكله شكل شجرة داخلية ، الا انه أوسع منها بكثير وأطول وأحسن هنداماً وشكلاً ، قد سطح بالواح من خشب شينة محكمة وأخرج منها افاريز بالرواشن نحو ذراعين ، وبني فوق هذا السطح بيت من خشب وعقد عليه قبة وفتح له طاقات وروازن بابواب الى البحر من سائر جهاته ثم تعمل في هذا البيت خزانة مفردة ومرحاض ثم يزوق باصناف الاصباغ وبدهن باحسن دهان

وهذا يتخذ للولوك والرؤساء بحيث يكون الرئيس جالسا في وسادته وخواصه حوله والغلمان والمماليك قيام بالمناطق والسيوف على تلك الرواشن واطمئنتهم وحوائجهم في قعر المركب والملاحون تحت السطح ايضاً وفي باقى المركب يقذفون به لا يعلمون شيئاً من أحوال الركب ولا الركب تشغل حواطهم بهم بل كل فريق يهزل عن الآخر ومشغول بما هو بصددته وإذا أراد الرئيس الاختلاء بنفسه عن اصحابه دخل المخدع ، وإذا أراد قضاء حاجته دخل المرحاض ، والملاحون بمصر يقذفون الى ورائهم فهم في قذفهم يشبهون الحبالين في مشيهم القهقري ويشبهون في تحريكهم السفن من يجذب ثقلاً بين يديه ويمشي به الى خلفه ، واما ملاحو العراق فهم بمنزلة من يدفع الثقل أمامه ويدسر به فسفنهم تتوجه حيث الملاح متجه وأما سفن مصر فهي تشترك الى ضد الجهة التي اليها الملاح متوجه . واما أى الحالتين اسهل والبرهان عليها فوضعه العلم الطبيعى وعلم تحريك الاثقال